

المعتقلات و السجون الفرنسية بمنطقة الساورة:

سجن بلهادي بالقنادسة نموذجاً

أ. مصطفى علوي

جامعة بشار

يرجع احتلال منطقة الساورة إلى بداية القرن العشرين، فبعد تعيين فرنسا شارل جوناو (C. JOUNART) الخبير بالشؤون الأهلية على رأس ولاية الجزائر العامة للمرة الثانية في 11 ماي 1903، وضع ضمن أولوياته الإسراع في تطبيق وتنفيذ التوسع الفرنسي في الجنوب، وبعد تعيينه مباشرة شرع في جولة قادته إلى الجنوب الغربي (إبراهيم، م، 2009: 496)، فكان رد فعل سكان المنطقة اندلاع مقاومة شجاعة من طرف قبائل المنطقة، منها قبائل ذوي منيع وأولاد جرير وقبائل البربر، تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر هامة.

عينت السلطات الفرنسية العقيد "ليوتي" (Hubert LYAUTEY) 496-524: (R.PEYRONNET, 1930) على رأس مقاطعة العين الصفراء، لمواجهة المقاومة وبسط سيطرتها الاستعمارية على الجنوب الوهراني (Augustin, B, 1911 : 159) ومراقبة بوعمامة على الحدود وتحركات قبائل أولاد جرير وذوي منيع في حوض زوزفانة (إبراهيم، م، 2009: 497) وذلك بدعم تسليح السرايا الصحراوية و المخزن (الأرشيف الاستعماري: 1911) وكانت بشار تابعة لمقاطعة العين الصفراء (الأرشيف الاستعماري: 1941)

أنشأت فرنسا وحدات عسكرية خاصة، تتماشى مع طبيعة المنطقة والأساليب المستخدمة من طرف القبائل المقاومة، منها الكتيبة

الصحراوية لمنطقة الساورة في 1904/04/22 وكتيبة بشار في 1904/06/07 (L. Céard, 1933: 97). تمركزت الكتيبة الصحراوية لمنطقة الساورة ببني عباس بقيادة إفري (IVRY) وكتيبة بشار بقيادة الملازم كانافي (CANAVY)، وكان الرائد بيرون (PIERRON) يمثل القائد الأعلى لدائرة كولب بشار (إبراهيم، م. 2009: 498).

وبعد إحكام سيطرتها على الجنوب الوهراني، تطلعت فرنسا إلى انجاز مشاريع استعمارية بالمنطقة، فكان مد خطوط السكة الحديدية. ولحماية الأشغال الخاصة بهذا المشروع شيدت السلطات الاستعمارية الفرنسية المركز العسكري تالزا (TALZAZA) (96 : L. céard, 1933) شمال مدينة بشار، وفي 15 أكتوبر 1905 قام وزير الأشغال العمومية قوتييه (GAUTIER) ووزير الداخلية إتيان (ETIENNE) بزيارة إلى مدينة بشار دشنا خلالها الخط الرابط بين بني و نيف وبشار (إبراهيم، م. 2009: 500).

تميزت مدينة القنادسة في منطقة الجنوب الوهراني بزوايتها التي أسسها الولي الصالح الحاج عبد الرحمن بن محمد دفين الجامع العتيق، غير أنها لم تأخذ شهرتها الكبيرة إلا في القرن 11هـ/17م، عندما جاء إليها الشيخ الورع محمد بن أبي زيان (التوهامي غ: 115) بعدما وصل إلى درجة عليا من التصوف (365: A.COURS)، وقد اشتهر بطريقة صوفية جديدة انبثقت عن الطريقة الأم الشاذلية وهي "الطريقة الزيانية" (مصطفى، ع، 2010: 153) وأصبحت بذلك زاوية القنادسة مركز قصر مهم (Louis Rinn: 409) التف حولها سكان المنطقة.

توجهت أنظار الاستعمار الفرنسي إلى مدينة القنادسة قصد احتلالها، وكانت ذريعتيه رفض زاوية القنادسة بناء مركز علاج بجوار القصر القديم، وهذا يعني المساس بسيادة الزاوية، فقررت القوات الفرنسية إرسال فرقة عسكرية لاحتلال القنادسة وكان ذلك في 14 نوفمبر 1906 .

1- أهمية "سجن بلهادي":

في سنة 1906 تم إنشاء ثكنة عسكرية أطلق عليها السكان فيما بعد اسم "سجن بلهادي" (La Redoute de Belhadi) اتخذتها فرنسا قاعدة أمامية لها في الصحراء، كان الغرض منها إمداد قواتها في المنطقة (وثائق: مندوبية المجاهدين قسمة القنادسة)، وتكريس السيطرة الاستعمارية والحكم العسكري على منطقة الجنوب الغربي وإتمام احتلال باقي الجنوب وقد اختلفت الروايات حول سجن بلهادي والشائع أنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى المكان الذي أُقيم عليه، أما الرأي الآخر ينسبه إلى أحد رجال المخزن كان يعمل بالسجن يسمى بلهادي.

اختارت فرنسا لثكنة بلهادي؛ التي تحولت فيما بعد إلى سجن، موقعا هاما باعتباره يطل على جميع مسالك وطرق قوافل الجمال وقد تم بناء هذا الحصن من طرف الليف الأجنبي وفق تصميم عسكري (تصميم: مندوبية المجاهدين القنادسة)، أهله ليكون حصنا منيعا ضد هجومات سكان المنطقة، فهو يحتوي على أربعة أبراج للمراقبة، وكان يتواجد به عدة فرق عسكرية منها: الليف الأجنبي وفرق إفريقية وفرق الخيالة (وثائق: مندوبية المجاهدين قسمة القنادسة). ويمكن تلخيص أهداف إنشاء الثكنة فيما يلي:

- مراقبة كل تحركات سكان المنطقة .
- تأمين الحدود الجزائرية المغربية.
- جعلها قاعدة إمداد خلفية لاحتلال منطقة الجنوب الغربي و باقي الجنوب.

2- عملية الاستيلاء على أسلحة سجن بلهادي قام بها الثوار ليلة 13 نوفمبر 1956

ازداد نشاط الثورة الجزائرية في منطقة الجنوب الغربي بعد انعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956، ومن أجل إثبات وجودها بكامل التراب الوطني بما في ذلك الصحراء الجزائرية، كان على قادة الثورة التخطيط للقيام بعمليات ضد أهداف الاستعمار الفرنسي، ومن أجل ذلك كانت تجرى اجتماعات سرية مرة واحدة في كل شهر تقيم فيها نشاطات الثورة ويبلغ فيها الثوار مع توخي الحذر في تواريخ وقوع العمليات، لكن دون علمهم عن طبيعة هذه العمليات لإحاطتها بالسرية التامة (المجاهد معزوزي ق : مقابلة)

إن عملية الاستيلاء على الأسلحة من سجن بلهادي، حُطّط لها من طرف أحد قادة المجاهدين " بلخير سليمان " والمدعو " شعيب " الذي قام بالاتصال بالشهيد " رزوق رابح " لتخطيط وتنفيذ العملية، وبعد اجتماع سري عُقد بالقصر القديم بالقنادسة و أداء القسم، تم تحديد ساعة القيام بالعملية، فكانت ناجحة بفضل مساعدة بعض رجال المخزن الذين شاركوا في العملية ثم التحقوا بصفوف جيش التحرير الوطني بجبل بشار (وثائق: مندوبية المجاهدين قسمة القنادسة)

ففي ليلة 13/11/1956 تم القيام بتنفيذ هذه العملية البطولية وذلك بمساعدة أحد المخلصين الذين كانوا يعملون كمجندين في صفوف الجيش الفرنسي والمعروفين بالمخزن وتم فتح مخزن الأسلحة والذخيرة (المجاهد عرشاوي ع :مقابلة)، والاستيلاء على مجموعة من الأسلحة والذخيرة تمثلت في:

- 16 بندقية من نوع موسكوطو رباعية.
- مدفع رشاش عيار 24/29.
- بندقية رشاش مات 49.
- منظار ميدان.
- 10000 خرطوشة (وثائق: مندوبية المجاهدين قسمة القنادسة)

وصف تقرير المحققين العسكريين الفرنسيين يوم 14 نوفمبر 1956 سجن بلهادي بعد عملية الاستيلاء على الأسلحة: "برج بلهادي مكان السرقة المرتكبة، يوجد بين حي تجمع الأوربيين والقصر القديم، يقابله مستشفى مناجم الجنوب الوهراني على بعد 100 متر في جنوب البرج يوجد مسبح وحدائق وعلى يسار بوابة دخول البرج، يوجد نقطة مراقبة، منها تم التسلل إلى مخزن الأسلحة..." (الأرشيف الاستعماري، 1956: 367) ولجأت فرنسا كعادتها إلى سلسلة الاعتقالات والتحقيقات.

3- تهريب المناضل بن ميلود رضوان ولد سيد الخلاوي من "سجن بلهادي" في فبراير 1957

كان رضوان محسن بن ميلود ابن سيد الخلاوي (1926- 2001 توفى بحادث مرور قرب النعامة) له دور استعلاماتي غير معروف خلال الثورة الجزائرية، عمل على وجهين في آن واحد الأول يخدم الثورة ويمدها

بالسلاح والمعلومات و الثاني تمثل في بناء علاقات جيدة مع فرنسا لإيهامها أنه في خدمتها، أدى رضوان خدمته العسكرية في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، وكان أيضا يهوى قيادة الطيران، اعتقل سنة 1956 أو 1957 بسبب اكتشاف فرنسا شحنة من الأسلحة موجهة للثورة كانت مخزنة في بيت أبيه الخلافي (أحمد هلو: مقابلة) فحُكم عليه بالإعدام. في أوائل سنة 1957 قامت فرنسا بنقل السجين "رضوان ولد الخلافي" من منطقة العين الصفراء إلى سجن بلهادي بالقنادة، حيث مكث به عدة شهور، وعندما أوْشك وقت تنفيذ الإعدام قام فدائيون ومناضلون بمساعدة رجال المخزن من إخراجهم من السجن بأعجوبة. وبعد نجاح العملية تم نقل رضوان إلى المغرب (وثائق مندوبية المجاهدين قسمة القنادة) ونجا من الإعدام.

خلاصة القول أن "سجن بلهادي" كان الهدف من تأسيسه في البداية إخضاع المنطقة للاحتلال الفرنسي، لكن انتقل من مهمته هذه إلى سجن ومركز للتعذيب شهد حدثين مهمين في تاريخ الثورة الجزائرية هما استيلاء الثوار على أسلحته سنة 1956 وتهريب السجين المحكوم عليه بالإعدام رضوان ولد الخلافي منه سنة 1957 ذكرناهما سالفًا، لكن يبقى سجن بلهادي اليوم معلما تاريخيا ينادي من ينقد ما تبقى منه من الاندثار والنسيان.

المصادر والمراجع:

- العربية:

- 1- الأرشيف الاستعماري (1956/11/14): وثيقة رقم 367.
- 2- الأرشيف الاستعماري (1941/11/03): وثيقة دون رقم.

- 3- الأرشيف الاستعماري (1911/01/31): وثيقة رقم 25394/3.
- 4- إبراهيم مياسي (2009)، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837- 1934)، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
- 5- تصميم سجن بلهادي، مندوبية المجاهدين: القنادسة (بشار).
- 6- التهامي الغيثاوي، الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ أحمد بن موسى، الجزائر: منشورات ANEP.
- 7- مصطفى علوي (2010)، السلسلة العلمية 2، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف.
- 8- أحمد هلو، 10 سبتمبر 2011 م: تيوت (النعامة).
- 9- عرشاوي عبد الله، 15 أوت 2011 م: القنادسة (بشار).
- 10- معزوزي قدور (عبد القادر)، 30 أوت 2011 م: القنادسة (بشار).
- 11- وثائق مندوبية المجاهدين: القنادسة (بشار).

الأجنبية:

- 12 -A. COURS (1910).Histoire le cheikh El hadj M'hammed ben Bou zian fondateur de la confrérie des ziyania et ses successeurs, Revue du monde musulman.
- 13-Augustin Bernard (1911).Confins Algéro – Marocain, Paris: Larousse.
- 14- L.Céard (1933). Gens et choses de Colomb – Béchar (sud oranais), ARCHIVES DE L'INSTITUT PASTEUR D'ALGERIE, tome XI: Alger.
- 15- Louis Rinn (1884) MARABOUTS ET KHOUANS, étude sur l'islam en Algérie, libraire.
- 16-R.PEYRONNET (1930).HISTOIRE, texte choisis de : LIVRE D'OR, tome 2, NOTICES ET BIOGRAPHIES, Alger.